البعد الصوفي في رواية "ورثة آل الشيخ" لأحمد القرملاوي

د. خلود بنت جرمان خالد الدغيلبي

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية في كلية العلوم والدراسات الإنسانية بالأفلاج

جامعة سطام بن عبدالعزيز

المملكة العربية السعودية

kholoud1443@gmail.com

تاريخ تسلم البحث: ٥/ ١٠/ ٢٠٢٣م **تاريخ قبول البحث**: ٢١/ ١٠/ ٢٠٢٣م

Doi: 10.52840/1965-011-001-022

الملخص:

تسعى الدراسة إلى تأكيد حضور البعد الصوفي في رواية "ورثة آل الشيخ" للروائي المصري أحمد القرملاوي؛ حيث بدا هذا البعد جلياً من خلال مجموعة من العلامات، والتي ساعدتنا، منذ البداية، في كشف سعي الكاتب إلى تضمين روايته بعداً صوفياً، وأهم هذه العتبات العنوان والإهداء. وقد وظف الروائي، إلى جانب ذلك، معجما صوفيا أغنى به حضور البعد الصوفي في روايته، وجاءت أسماء الشخصيات لتزكي حضور هذا البعد. وقد ساعدنا مفهوم "التشاكل" في دراسة هذا المعطى.

حملت جل الشخصيات أسماء ذات إيحاء صوفي من قبيل: عرفان، فاضل، روحية، وغيرها، وقد وظف الكاتب البعد الصوفي لهذه الشخصيات، مصدرا من مصادر كتابته لهذه الرواية، فارتكز على نبوءاتها ورؤاها، وقدم لنا عالما صوفيا من أحوال ومقامات هذه الشخصيات خلال رحلة عبورها الصوفي نحو اليقين.

الكلمات المفتاحية: الرواية، التصوف، التجريب، التشاكل، الأحوال، المقامات.

The Sufi Dimension in the Novel "The Heirs of Al-Sheikh" by the Egyptian Novelist Ahmed Al-Qarmalawi

Dr. Khulood bint Jarman Khalid Al-Dughaili

Assistant Prof. of Literature and Criticim in the Arabic Language Dept. at the College of Humanities Sciences and Studies in Al-Aflaj in Sattam bin Abdul-'Aziz University

Saudi Arabia

kholoud1443@gmail.com

Date of Receiving the Research: 5/10/2023 Research Acceptance Date: 21/10/2023

Doi: 10.52840/1965-011-001-022

Abstract:

This study seeks to confirm the presence of the Sufi dimension in the novel "The Heirs of Al-Sheikh" by the Egyptian novelist Ahmed Al-Qarmalawi. The Sufi dimension became clear through a group of signs، which helped us، from the beginning، in revealing the writer's attempt to include a Sufi dimension in his novel. The most important of these thresholds are the title and the dedication. In addition، the novelist employed a Sufi dictionary that enriched the presence of the Sufi dimension in his novel. Moreover، the names of the characters came to highlight the presence of the Sufi dimension in the narrative. The concept of "isomorphism" helped in studying the Sufi dimension in the novel.

Almost all of the characters bore names with a Sufi connotation، such as: Irfan، Fadhel، Rawhiyyah، and others. The writer employed the Sufi dimension of these characters as one of the sources of his writing of this novel. Consequently، the novelist relied on the Sufi characters' prophecies and visions. Hence، he presented to his readers a Sufi world of the conditions and positions of these characters during their journey of Sufi passage towards certainty.

Key Words: Novel, Sufism, Isomorphism, Conditions, Maqamat.

المقدمة:

الرواية جنس أدبي جامع، تلتقي فيه أجناس أدبية وتعبيرية كثيرة، منها الشعر والقصة والمثل وغيرها، وهي بذلك تشتمل على مختلف التوجهات الفكرية والإبداعية، واقعية كانت أم خيالية. وبذلك تنفتح الرواية على كل القضايا العقائدية والدينية والفلسفية وتدافع عنها من وجهة نظر صاحبها. ويعد البعد الصوفي من أهم الأبعاد الذي أغنت الرواية العربية وشكلت رافدا مهما من روافدها.

تحاول الدراسة استجلاء البعد الصوفي كما يحضر في رواية "ورثة آل الشيخ" للروائي المصري أحمد القرملاوي، ولعل من الصعوبة أن نجد رواية تتمثل البعد الصوفي في جوانبها بحذافيره، إلا أن هذه الرواية تكمن في كونها رواية حديثة جسدت هذا البعد تجسيداً واضحاً ومقصوداً على كل مستويات بنيتها السردية؛ من المعجم إلى اختيار الشخصيات والحدث الرئيسي والأحداث الثانوية.

لبلوغ هدف هذه الدراسة سنقوم أولاً: بتقديم مختصر للرواية وصاحبها، ثم نتتبع حضور البعد الصوفي فيها من خلال تقديم سريع لميثاق قراءتها كما يوقعه صاحبها بينه وبين قارئه الضمني والمفترض، ونقف بعد ذلك عند عتباتها الأساسية في مدخل عام يؤسس به الروائي لموضوع روايته ويستدرج به قارئه نحو الموضوع، متمثلة في العنوان والإهداء والنص المثبت على ظهر غلاف الطبعة التي نعتمدها في هذه الدراسة، ثم نستكشف البعد الصوفي في المعجم المهيمن على الرواية والذي يضمن تشاكل مضامينها، ثم نتقرب من هذا البعد كما يتجلى من خلال الشخصيات، في أسمائها وأفعالها وفي العلاقة فيما بينها، ونختم الدراسة بالأحوال والمقامات الصوفية لهذه الشخصيات كما يقدمها لنا هذا العمل الروائي، مع خاتمة بأهم الاستنتاجات.

نستثمر مجموعة من الأدوات والمفاهيم المنهجية الإجرائية التي يقدمها لنا المنهج البنيوي، أهمها المعرفة التي تقدمها مصادر البحث في تراثنا الصوفي ومنها معجم الصوفية على الخصوص، ونوظف مفهوم العتبات كما يقدمه النقاد البنيويون مثل جيرار جنيت، ومفهوم التشاكل الذي تتبناه السيميوطيقا السردية مع كرياس وكورتيس.

كثيرة هي الدراسات التي تناولت البعد الصوفي في الإبداع الأدبي عموماً والروائي على وجه الخصوص، نذكر منها على سبيل التمثيل:

- مقالة للكاتب المغربي محمد أدادا، بعنوان: "الصوفي في الروائي"[١]، وهي دراسة ذهب صاحبها إلى اعتبار حضور البعد الصوفي في الرواية الحديثة مظهراً عاماً يشهد على تحول الكتابة الروائية وحداثتها بانفتاحها على أبعاد ثقافية متعددة مثل التصوف. وقد اعتبرنا هذا المعطى أساسيا، وانطلقنا منه للبحث في تجليات البعد الصوفي في الرواية متن هذه الدراسة.

- دراسة للباحثة آسية متلف، بعنوان: "التجريب الصوفي في الرواية العربية المعاصرة، أبعاده وتجلياته"[٢]، أكدت فيها حضور المرجعية الصوفية في الرواية العربية، ودرست حضور هذا البعد في رواية: "الولي الطاهر يعود الى مقامه الزكي" للروائي الجزائري الطاهر وطار، وهي من المقالات التي اعتمدناها في هذه الدراسة.

- دراسة للباحثة: آمنة بلعلي[٣]، بعنوان: " الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي، من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريين"، وقد أفدنا من هذه الدراسة في التعرف على نشأة الخطاب الصوفي وتطوره، وعلى أهم الإشكاليات المرتبطة بالبحث فيه.

اطلعنا على مجموعة من الرسائل الجامعية في الموضوع، وأفدنا من بعضها، في التعرف على بعض تجليات الخطاب الصوفي في الإبداع الأدبي، أو في غيره من الخطابات، نذكر منها:

- دراسة للباحثة وفاء حلايمية[٤]، بعنوان: "الرمز الصوفي والبعد العرفاني في رواية "أمطار صيفية" لأحمد القرملاوي"، وهي رسالة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي الحديث والمعاصر، من جامعة العربي التبسي بالجمهورية الجزائرية بتبسة، أشرف عليها الدكتور: حاج بن سراي، برسم السنة الجامعية: ٢٠٢١ – ٢٠٢٢.

---

(١) أدادا، محمد، "الصوفي في الروائي"، ضمن مجلة: فكر ونقد، العدد ٤٠، السنة الرابعة، يونيو ٢٠٠١.

(٢) متلف، آسية، "التجريب الصوفي في الرواية العربية المعاصرة، أبعاده وتجلياته"، مجلة: التعليمية، المجلد ٤، العدد ١٠، مارس ٢٠١٧.

(٣) بلعلي، آمنة، الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي: من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.

(٤) وفاء، حلايمية، الرمز الصوفي والبعد العرفاني في رواية "أمطار صيفية" لأحمد القرملاوي"، رسالة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي الحديث والمعاصر، جامعة العربي التبسي – تبسة، بالجمهورية الجزائرية، إشراف الدكتور: حاج بن سراي، السنة الجامعية: ٢٠٢١ – ٢٠٢٢.

- دراسة للباحث معمر معمري[٥]، بعنوان: "الرؤية الصوفية وأثرها في التشكيل السردي عند الحبيب السائح، وهي بحث لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث، أشرف عليها الدكتور إسماعيل زردومي، ونوقشت بكلية الآداب واللغات بجامعة الحاج لخضر، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، سنة ٢٠١٧.

هذا إضافة إلى الكثير من المقالات التي درست حضور البعد الصوفي في رواية معينة. وقد اعتمدنا مجموعة منها في دراستنا هاته؛ استرشدنا ببعضها في رسم حدود الدراسة واستطلاع آفاقها، وببعضها الآخر في التعرف على المعجم الصوفي وتجلياته. إلا أننا نروم إنجاز هذه الدراسة بمنهج ينسجم مع طبيعة المدونة التي ندرسها، وهي مدونة شهد لها النقاد برصانة اللغة، وجدة الموضوع، ونبل الرسالة، يقول عنها نشوة مطر: " وإلى جانب جماليات النص، دق الكاتب ناقوس الخطر في رسالة ضمنية تنذر بأن العزلة والهجرة باتت طريقاً وحيداً للخلاص من واقع مأزوم، الأمر الذي يهدد بتفتت الروابط وتفكك النسيج وانفراط التاريخ"[٦]، باستحضارها لنمط في الكتابة يقوم على التجريب من خلال كشف لعبة الكتابة واستحضار البعد الصوفي، ونرجو أن نوفق في ذلك.

القرملاوي و"ورثة آل الشيخ":

أ. الروائي أحمد القرملاوي:

أحمد القرملاوي[٧] كاتب ومهندس مصري، من مواليد القاهرة سنة ١٩٧٨م، تخرج من كلية هندسة التشييد في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، سنة ٢٠٠١، وحصل على درجة الماجستير

(٥) معمر، معمري، "الرؤية الصوفية وأثرها في التشكيل السردي عند الحبيب السائح، بحث لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث، إشراف الدكتور إسماعيل زردومي، كلية الآداب واللغات بجامعة الحاج لخضر، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ٢٠١٦ – ٢٠١٧.

(٦) نشوة، مطر، ""ورثة آل الشيخ" حكاية عن عابري الحياة بلا ضجيج"، موقع إندبندنت عربية، على الرابط:
https: //www. independentarabia. com/node/163296/
تاريخ الزيارة: ٢٣ أكتوبر ٢٠٢٣

(٧) عن موقع جائزة الشيخ زايد للكتاب، على الرابط:
https: //www. zayedaward. ae/ar/previous. editions/winners/ahmad. al. qarmalawi.. aspx
تاريخ الزيارة: ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٣.

في إدارة الأعمال من جامعة إدنبرا، باسكتلندا، وأسس شركة خاصة في مجال التصميم الهندسي والديكور الداخلي.

وقد فاز(٨) أحمد القرملاوي بجائزة كتارا للرواية العربية عن روايته "ورثة آل الشيخ" موضوع هذه الدراسة، إلى جانب فوزه بجوائز أخرى عن بعض أعماله القصصية والروائية، ومنها فوزه بجائزة الشيخ زايد للكتاب، عن فئة المؤلفين الشباب، سنة ٢٠١٨. ومن أهم أعماله الإبداعية نذكر:

- المجموعة القصصية "أول عباس" عن دار الرواق للنشر والتوزيع، سنة ٢٠١٣م.
- رواية: "التدوينة الأخيرة" عن الدار المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع، سنة ٢٠١٤.
- رواية "دستينو" عن الدار المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع، سنة ٢٠١٥.
- رواية "نداء أخير للركاب" عن الدار المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع، سنة ٢٠١٨.
- رواية "أمطار صيفية" عن نفس الدار، سنة ٢٠١٨.

ب. رواية "ورثة آل الشيخ":

تعد هذه الرواية من أهم الروايات العربية الحديثة، وما فوزها بجائزة كتارا إلا تتويج لها واعتراف بأهميتها، وتنويه بإبداع صاحبها، وهي رواية تجري أحداثها بحي "الخرنفس"، بطلها وشخصيتها الرئيسة هي السارد نفسه الذي يروي بضمير المتكلم، وهو مهندس (يكاد يتطابق مع شخصية الكاتب مما يجعلنا أمام إرهاصات سير ذاتية لأن الكاتب مهندس كذلك)، ويصرح السارد منذ بداية الرواية بأنه يروي رواية مبنية على وقائع من تاريخ عائلة الشيخ، وهو شيخ أزهري تنبأ بوجود كنز ببيته يحرسه قرد، ولن يتم اكتشافه واستخراجه إلا على يد سابع محمدات العائلة.

وفي خضم الأحداث الجارية لمعرفة موقع الكنز من طرف الحفدة، يروي السارد واقعه اليومي، متنقلاً بين عمله مهندسا يفكر في الهجرة إلى أستراليا للحاق بشريكه بعد فشل مشروعهما الأول (مكتب هندسة)، وبين استقصائه حول حقيقة الكنز، وجمع المعطيات لكتابة روايته، باحثاً بين ثنايا صور وألبومات العائلة، ومستدرجاً أمه وأباه للحديث عن جده الشيخ.

(٨) أماني، إبراهيم، ورثة آل الشيخ رواية أجيال، الموقع الإلكتروني: "صدى البلد" على الرابط: https: //www. elbalad. news/5018503 تمت الزيارة بتاريخ: ١٦ شتنبر ٢٠٢٣.

ومع تقديمه لكل شخصية من شخصيات العائلة نكتشف سراً عجيباً أو كرامة أو حالاً من الأحوال الصوفية.

رواية "ورثة آل الشيخ" وميثاق القراءة:

أ. "ورثة آل الشيخ" بين الحقيقة والخيال:

يحدد كل كاتب شروطا وسياقاً لقراءة ما يكتبه لكي يوجه القارئ، وعمل في روايته، ونجد أن أحمد القرملاوي يتحدث كثيراً عن الكتابة وعن علاقة السارد الرئيسي بها. ويصرح على لسان سارده منذ بداية الرواية بأنه يريد أن يكتب رواية تكون أقرب إلى الحقيقة منها إلى الخيال، فيقول مخاطباً أباه طالباً مساعدته في جمع المعطيات: "قلت: "أفكر في كتابة رواية تسرد تاريخ الأجداد، سأجمع المعلومات من عدة مصادر"، أكملت فيما ألملم الصور: "ساعدني بما تعرف كي لا أشرد بعيداً عن الحقيقة"(٩). إن هذا التصريح بمصادر المعلومات وبتقنية الكتابة دليل على تجريب القرملاوي لتقنيات جديدة، ومنها جمعه بين الحقيقة والخيال في كتابة الرواية، وعلى القارئ أن يتلقى هذا النص بناء على هذا المعطى. وهذه تقنية معروفة، يقول عنها محمد برادة عند دراسته لإحدى روايات إدريس الخوري: "هناك عدة إشارات تلفت نظرنا إلى أن الكاتب المفترض (السارد) يريد أن يصنع نصه الروائي تحت أبصارنا وعلى المكشوف كما يقال (...) ومن ثم فإن الكاتب المفترض الذي يتولى السرد داخل الرواية يصبح هو صلة الوصل بين مختلف الأصوات والحكايات، وهو منظم الاستطرادات وراسم الفضاءات والعلامات "(١٠).

إن تأرجح القرملاوي بين الواقع و الخيال في تقديم روايته إلى القارئ يجد مبرره في انفتاحه على الخطاب الصوفي بالدرجة الأولى بكل عجائبيته، لأن "الصوفي يعمل على تحميل اللغة أكثر مما تتحمل ألفاظها من معاني فيأتي المعنى غريباً عن القيم الثقافية السائدة، وهذا ما يصعب عملية تلقي هذه الأنواع من النصوص، في حين أن الخطاب الروائي مرتبط بالواقع يصدر عن وعي صاحبه بما هو موجود في الواقع قصد الكشف عن حقيقته من خلال صراع الإنسان مع الإنسان وصراعه مع الوجود، فكيف ينصهر الأول في الثاني ليشكل عجائبية التأثيث السردي؟ "(١١).

(٩) القرملاوي، أحمد، ورثة آل الشيخ، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط. ١، ٢٠٢٠، ص. ٢٥.
(١٠) برادة، محمد، أسئلة الرواية، أسئلة النقد، منشورات شركة الرابطة، الدار البيضاء، ط. ١، ١٩٩٦، ص. ٤٥.
(١١) آسية متلف، "التجريب الصوفي في الرواية العربية المعاصرة، أبعاده وتجلياته "، ص. ١٤٨.

إن هذا السؤال الذي تطرحه آسية في هذا النص حول كيفية انصهار الخطاب الصوفي في الخطاب الروائي هو ما جعل الروائي أحمد القرملاوي يبحث له عن حل عبر التصريح في كثير من المرات، بأنه يكتب رواية يملأ فراغاتها من خياله وشطحاته. يقول السارد مخاطباً أمه هذه المرة: "ماما، لا أحد يعرف الوقائع بحذافيرها.. أو لأكون أكثر دقة: ليس هناك واقع وحيد تتفقون عليه، جميعكم ينقل ما انطبع في ذاكرته من وقائع، ويملأ الفراغات من خياله. ثم أقول بحسم: "هذا ما سأقوم به: سأجمع ما يمكن جمعه، وأسد الفجوات من خيالي"(١٢). هكذا يوقع الكاتب، على لسان الراوي ميثاقاً لقراءة الرواية بصفتها تمتح من الواقع وتمزجه بخيال الكاتب المفعم بالنفحة الصوفية التي تحتاج بدورها تأويلا يفسر هذه الشطحات التي وردت في الرواية عبارة عن تنبؤات لوالدة الراوي تتنبأ فيها ببعض الوقائع. وقد تردد الجذر اللغوي "ش ط ح" بصيغ متعددة منها ما نقرأ في حوار الراوي مع ضابط الشرطة، في نهاية الرواية:

"يضحك الضابط باستخفاف، لكن بريق عينيه يفضح سرحانه في تأمل الفكرة. يقول بعد برهة: إذاً هذا هو الكنز! لا عجب أنك تكتب روايات، خيالك شاطح لبعيد. ثم يردف بعد برهة: "هو صاحب أرض مختار اسمه محمد؟.. فأقول: العائلة نصفها محمدات، فيضحك من جديد"(١٣).

فقد وصف الضابط خيال الرواي بكونه "شاطح لبعيد"، وهي عبارة من اللهجة المصرية يقصد بها الخيال البعيد الذي يفارق الواقع كثيرا. وغذا تحقق هذا "الشطح" فإننا نكون أمام كرامة لا يختص بها إلا الأولياء الصالحون، ومنهم الصوفية.

لجأ القرملاوي إلى مجموعة من تقنيات التجريب الروائي ومنها ما يعرف بـ"الرواية داخل الرواية" حيث كان يعرض طريقة كتابته ويصرح بمصادر معلوماته منبهاً القارئ إلى أن ما يقدمه له إنما هو مزيج بين الحقيقة والخيال، إنه خيال جامح شاطح، كالذي تشير إليه شخصية الضابط في النص السابق، والذي ينهل من منابع صوفية، منها الرؤية والمنامات والإلهام وغيرها. ذلك ما سنتعرف عليه في هذه الدراسة.

(١٢) القرملاوي، أحمد، ورثة آل الشيخ، مرجع مذكور، ص. ٧٦.
(١٣) نفسه، ص. ٢٧٧.

ب. تأويل البعد الصوفي الرواية:

من أجل الوقوف على البعد الصوفي في هذه الرواية، لا بد لنا أن نلجأ إلى تأويل ما يجب تأويله، رغم أن حضور هذا البعد جلي وواضح، ولا يحتاج استخلاصه إلى اجتهاد، فقد حرص الكاتب على التعبير عن ذلك بصريح العبارات والمفاهيم. إلا أن اتساع ما يتصل بالصوفية من تحديدات واصطلاحات يضطرنا إلى تحديد مجال اشتغالنا في هذه الدراسة. إذ إنه " كما اختلف علماء اللغة في اشتقاق مادة التصوف ومصادرها، اختلف أئمة التصوف في تحديد المعنى الاصطلاحي للتصوف أيضا، ويرجع ذلك لتعدد المقامات والأذواق والأحوال التي يتقلب فيها المتصوفة أثناء سيرهم في هذا الطريق، وعلى إثر ذلك لا يكاد ينضبط للتصوف معنى شامل يحدد ماهيته وغايته"(١٤). إلا أن الكاتب انفتح على هذا الخطاب بوعي، حيث تدرج في إيراد معجم صوفي يبدأ بالرؤية والمنامات وينتهي إلى رسم مقامات بعض الشخصيات التي انتهت بها أحوالها إلى الاندماج في عالم من الغيب لا يشهد حقيقته إلا تلك الشخصيات التي سمت فوق هذا العالم الأرضي. وسنقف عند أهم هذه القضايا فيما يلي من تحليلنا لهذه الرواية، بدءاً بالعتبات ثم المعجم ثم عالم الشخصيات، وننتهي إلى عالم الأحوال والمقامات الذي رسمه الكاتب لهذه الشخصيات.

١. عتبات صوفية:

تعد العتبات الداخلية أول ما يطالع القارئ عندما يلقي نظرة على أي كتاب أو وثيقة، وخصوصاً حينما يكون الكاتب واعياً بدور هذه العتبات في توجيه القراءة والتصريح بمبادئ الكتابة لديه، ونتبنى النوع الثاني من العتبات التي يسميها جيرار جنيت في كتابه "أطراس" بالنص الموازي؛ حيث يقول: "يرتبط النص بهذا المعنى بما أسميه نصه الموازي Paratexte ويمثله (العنوان، العنوان الفرعي، العنوان الداخلي، الديباجات، التذييلات، التنبيهات، التصدير، الحواشي الجانبية، الحواشي السفلية، الهوامش المذيلة للعمل، العبارة التوجيهية، الزخرفة، الأشرطة (تزيين يتخذ شكل حزام) الرسوم، نوع الغلاف، وأنواع أخرى من إشارات الملاحق، والمخطوطات الذاتية والغيرية، التي تزود النص بحواش مختلفة، وأحيانا بشرح

(١٤) الوصيفي، علي، موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص. ٣٧.

رسمي وغير رسمي؛ بحيث إن القارئ الحصيف والأقل اضطرارا للتنقيب خارج النص، لا يستطيع دائما التصرف بالسهولة التي يتوخاها(١٥)". وتساهم هذه العتبات في توجيه القارئ، وتساعده على التأويل، فهي تبرز "جانبا أساسيا من العناصر المؤطرة لبناء الحكاية ولبعض طرائق تنظيمها وتحققها التخييلي، كما أنها أساس كل قاعدة تواصلية تمكن النص من الانفتاح على أبعاد دلالية تغني التركيب العام للحكاية وأشكال كتابتها"(١٦). وأهم هذه العتبات ما حدده جيرار جنيت الذي خصص دراسة كاملة وسمها ب "عتبات" وحدد فيها "جملة من الضوابط كأسماء المؤلفين، المقدمات، العناوين، الإهداءات، العناوين المتخللة، الحوارات، الاستجوابات، وغيرها باعتبارها عتبات لها سياقات توظيفية وتاريخية ونصية"(١٧).

يعد العنوان أول هذه العتبات وأهمها، ويبدو أن القرملاوي يعي جيداً هذه الأهمية، إذ " يكثف العنوان في ثنايا حمولاته الكثير ضمن بنية النص الروائي، وذلك باعتباره العلامة اللسانية الأولى التي يستقبلها بصر القارئ حين يلقي نظرته الأولى على واجهة غلاف الرواية، وهنا تتشكل مفاهيم القراءة الأولية"(١٨). وقد جاء عنوان رواية: "ورثة آل الشيخ" جامعا مانعا كما يقال، فهو يحيل على البعد الصوفي الذي يؤطر هذه الرواية، ولم يكتف المؤلف بذلك، بل صدر عمله بإهداء يزكي هذا الطرح، كما سنرى.

٢. عتبة العنوان:

ورثة آل الشيخ، عبارة تتكون من: "ورثة، آل، الشيخ"، أضيفت إلى بعضها للدلالة على عالمين؛ عالم الواقع الذي يمثله الورثة، وعالم الغيب الذي يحيل عليه الشيخ (الموروث)، والكلمتان معا ذات حمولة دلالية صوفية قوية جداً نظرا لأهمية معنى الوارث في سلك مسالك

(١٥) جينيت، جيرار، أطراس (الأدب في الدرجة الثانية)، ترجمة: المختار حسني، ضمن مجلة فكر ونقد، العدد ١٦، فبراير ١٩٩٩، ص. ١١.

(١٦) الحجمري، عبد الفتاح، عتبات النص: البنية والدلالة، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ط. ١، ١٩٩٦، ص. ١٦.

(١٧) الحجمري، عبد الفتاح، عتبات النص: البنية والدلالة، ص. ١٦-١٧.

(١٨) برادي، بغداد وغروسي قادة، "مرجعيات تماهي الخطاب الصوفي في الرواية العرفانية: قراءة تأويلية في "ياسين في قلب الخلافة" لعبد الإله بن عرفة"، ضمن مجلة: الخطاب، المجلد ١٧، العدد ١، يناير ٢٠٢٢، ص. ١٦٨.

العارفين، والسير في طريق المتصوفة الزاهدين، جاء في معجم مصطلحات الصوفية، في ذكر معنى "وراثة" ما يلي: "هي المتابعة، وجنة الوراثة: هي جنة الأخلاق الحاصلة بحسن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم(١٩). وقد "استمدت «الصوفية» فكرة «الوارث النبوي» من تفسيرها لآيات قرآنية أوصت بالاستعانة بأهل العلم كما في الآيات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [سورة الفرقان: ٥٩]، أو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩]؛ إذ يرى المتصوفة فيها أمراً مباشراً بالبحث عن هذا الخبير أو كما يسميه الصوفية بـ«الوراث»، وتُشبّه العلاقة بين «الوارث النبوي» و«المُريد» بـ«الولادة» التي تسمح للمتصوف بالوصول إلى الله، وفهم الإرث النبوي فهماً صحيحاً، فالوارث هنا هو السبيل الوحيد لفهم «الإرث النبوي»، ومن دونه يستحيل الوصول، ولا يرتبط دور الوارث بمرحلة، بل يعتبر تهذيباً مستمراً لسلوك مُريديه، وقتل حب الذات في نفوسهم، حتى تحيا قلوبهم ويكونوا صالحين للوصول إلى الله، وبذلك الوارث النبوي هو «المربّي»(٢٠).

ويقصد بالوصول أو الوصال الاتصال بالحق عبر الانفصال عن الخلق، وهو درجات، أدناها "مشاهدة العبد ربه تعالى بعين القلب، فإذا رفع الحجاب عن قلب السالك وتجلى له يقال إن السالك الآن واصل. "(٢١).

أما عن العلاقة بين الوارث وشيخه، فهي بمثابة بيعة يبايع فيها الأول الثاني للسير في طريقه حتى يصل إلى المعرفة الصوفية المبتغاة، و"من أهم ركائز الطريق الصوفي التي ينبني عليها تحقيق السلوك إلى الله عز وجل: المبايعة وأخذ العهد بين الشيخ والمريد. فالبيعة هي مدخل الصحبة المباركة بين الشيخ المرشد ومريد الوصول إلى معرفة الحق تبارك وتعالى، وبها يسري تأثير الشيخ في مريده بالحال والقال، ويتحقق الرباط الوثيق الذي يستهدف تزكية النفس الإنسانية وصلاح القلب والروح، والتدرج في معارج السلوك لتحقيق الوصول وبلوغ المأمول.

(١٩) الحفني، عبد المنعم، مصطلحات معجم الصوفية، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ه، ١٩٨٧م، ص. ٢٦٥.

(٢٠) رشار، سارة، "«الوارث النبوي».. دليل المتصوفة للوصول إلى السماء"، عن الموقع الإلكتروني: المرجع، على الرابط: https: //www. almarjie-paris. com/3586 بتاريخ: ١٧ يوليو ٢٠٢٣.

(٢١) الحفني، عبد المنعم، معجم مصطلحات الصوفية، مرجع مذكور، ص. ٢٦٧.

ومادام تحقيق هذه الغاية السامية موقوفا على حصول البيعة وأخذ العهد من الشيخ للمريد كانت البيعة فريضة واجبة، من باب "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب". وإذا كان هناك فئة من الناس أخذت على عاتقها طمس وجوه الحقائق وإنكار مفاهيم التصوف الإسلامي فشددت النكير على اتخاذ الشيخ المرشد بزعم أنه ليس في الإسلام وساطة بين العبد وربه"(٢٢).

لكل مريد شيخ يزكيه، يرضى عنه ويطمئنه بقرب وصوله مقاما مأمولا. وقد أكد السارد في نهاية الرواية اتصاله بشيخه واكتسابه لقوته منه بعدما بدأ يفقد طاقته باحثاً عن الكنز الذي لا يعرف أسراره إلا الشيخ، يقول السارد: "أشعر باطمئنان نسبي، إذ يلتف حولي الجدود. أرغب في سؤالهم: من منكم وجد الكنز؟ لكن لا طاقة لدي.. يخاطبني جدي الشيخ: لا تثريب عليك الآن"(٢٣).

إن ورود مصطلحين رئيسين من مصطلحات الصوفية في عنوان هذه الرواية (ورثة – آل الشيخ) يؤكد الارتباط العميق لهذا العمل الروائي بأبعاد صوفية عميقة تنهل من الإرث الصوفي، كما سنبين في التحليل.

٣. عتبة الإهداء:

الإهداء الذي جاء في هذه الرواية هو:

" إلى أبي.. ابن الأسطورة

إلى أمي.. رفيقة الرؤى، وكنز الحكايات "(٢٤).

لا يخفى على القارئ ما تم تحميله من معان صوفية في هذا الإهداء، أولها قناعة الكاتب بعلاقة أبيه بالأسطورة، فهو ابن الأسطورة التي هي بدون شك هذا الجد الشيخ الذي خلف كنزاً أخبر عنه برؤية صادقة يجتهد الأحفاد في فك طلاسمها، ومن محاولات فك هذه الرموز ما يقوم به الكاتب في هذه الرواية حتى ينتهي إلى معرفة سر هذا الكنز مستعيناً برؤى أمه. والرؤية

(٢٢) أبو اليزيد، جودة محمود، أخذ العهد بين الشيخ المرشد والمريد، عن الموقع الإلكتروني: نفحات الطريق، على الرابط: https: //www. nafahat-tarik. com/2018/05/Al-Ahd-Bayn-Al-Shaykh-Wa-Al-Mourid. html
تاريخ الزيارة: ٢٥ يوليو ٢٠٢٣.

(٢٣) القرملاوي، أحمد، ورثة آل الشيخ، مرجع مذكور، ص. ٢٧٧.

(٢٤) القرملاوي، أحمد، ورثة آل الشيخ، مرجع مذكور، ص. ٥.

الصوفية رؤية تحمل من المعرفة الغيبية أكثر مما تفصح عنه الوقائع الكاذبة(٢٥)، وقد كانت رؤى الأم وذاكرتها مصدراً من المصادر التي اعتمدها الكاتب في كتابة هذه الرواية، كما يؤكد على لسان سارده حينما يقول هذا الخير مثلا: "وكانت أمي من أولئك المصدقين تماما بالرؤى والنبوءات؛ تهامس بها خواص الناس، وتسير على هديها بيقين لا يتزعزع" (٢٦).

تتكرر هذه المعاني المرتبطة بالأب والم وبعلاقتهما بالرؤية والغيب في هذه الرواية؛ حيث يربط السارد بين الشيخ والرؤيا الصادقة، وبينه وبين النسب الشريف الذي يمتد إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. نقرأ مثلاً: " في البيت الكائن في شارع الخرنفس بحي الجمالية، ولد أبي. إنه البيت الذي بناه الشيخ سليل الأشراف، صادق الرؤيا"(٢٧). ويكفي أن نشير هنا إلى عمق دلالة الشيخ في قاموس الصوفية وما يتمتع به من قدسية(٢٨).

ج. تشاكل المعجم الصوفي في رواية "ورثة آل الشيخ":

مفهوم التشاكل مفهوم إجرائي يساعد على البحث في العناصر التي تجعل رسالة معينة، أو خطابا ما خطابا منسجما في مجال السرد. وقد "تم اقتراح مفهوم التشاكل من طرف كريماس ضمن سيميوطيقا السرد عامة. ويجد هذا المفهوم جذوره في قبل توظيفه داخل هذا الحقل، في مجال الفيزياء، حيث يشير إلى مدلولين:

١. مدلول الوحدة والتشابه.

٢. مدلول الانتماء إلى حقل أو مجال أو مكان. (٢٩)"

ولعل السؤال الرئيس الذي نطرحه هنا هو: ما الذي يضمن لنا قراءة هذه الرواية كرواية ذات بعد صوفي؟ ونجد الجواب في الإجابة عن سؤال يطرحه علماء السيميوطيقا حول ما يجعل من خطاب معين خطاباً منسجماً، ويؤكدون أن انسجام الخطاب يضمنه تشاكل المعجم داخل

(٢٥) الحفني، عبد المنعم، مصطلحات معجم الصوفية، مرجع مذكور، ص. ١١٦.

(٢٦) القرملاوي، أحمد، ورثة آل الشيخ، مرجع مذكور، ص. ١٣.

(٢٧) نفسه، ص. ٢٧.

(٢٨) الحفني، عبد المنعم، مصطلحات معجم الصوفية، مرجع مذكور، ص. ١٤٣.

(٢٩) نوسي، عبد المجيد، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط. ١، ٢٠٠٢ ص، ٩٣.

هذا الخطاب. يقول عبد المجيد نوسي: "يتساءل راستيي في مقدمة كتابه حول دواعي الشعور بانسجام النص ووحدته بعد القيام بالقراءة، بمعنى أن السؤال يتجاوز حدود تأويل الدلالة للبحث في شروط وأولويات الانسجام الدلالي للنص والخطاب"(٣٠). وينتهي راستيي، ومعه أستاذه كريماس، إلى مفهوم التشاكل الذي يجعل الخطاب متماسكا ومنسجما؛ حيث "يهدف تحليل التشاكلات الدلالية إلى استيضاح انسجام واتساق الخطاب. فالتشاكلات الدلالية في الخطاب تحقق الانسجام والاتساق وتلغي كل إمكانيات الإبهام الدلالي. ويتحقق الانسجام نتيجة مختلف التشاكلات الدلالية التي تميز الخطاب والتي يتم تحقيقها بفعل التوارد المتكرر لمجموعة من المقومات السياقية"(٣١).

إن الأهمية الإجرائية لهذا المفهوم سوف تمكننا من البحث في طبيعة المعجم اللغوي المهيمن في رواية "ورثة آل الشيخ" من أجل التأكد من تشاكله وانسجامه في التعبير عن البعد الصوفي. وقد وقفنا عند معجم غني، يمكن أن نذكر منه ما جاء فقط في العتبات المدروسة مثل: الوارث، الشيخ، الرؤى، الأسطورة، الكنز، لإضافة إلى مفردات هذا المعجم ذات العلاقة بالبعد الصوفي في هذه الرواية.

- **الإلهام:**

أهم المفاهيم الصوفية، وهو "الاطلاع على الأسرار الغيبية بعين البصيرة في عالم المثال بلا شك وشبهة اطلاعا غيبيا"، كما يعرفه صاحب معجم اصطلاحات الصوفية(٣٢). ويقول علي الوصيفي حول اعتماد الصوفية على الإلهام: "وما قيل على الذوق يقال على الإلهام، فقد صرف الصوفية جميع مفاهيم الدين بل جميع العلوم على أساسه؛ لينصروا مذهبهم وطريقتهم، وقد احتقروا بسببه كل وسيلة أخرى توصل إلى الله"(٣٣). وقد ورد مفهوم الإلهام بصيغ متنوعة، في الرواية في مواضع كثيرة، تتعلق كلها باعتماد الشخصيات على الإلهام مصدرا للمعرفة وحل

(٣٠) نفسه، ص، ٩٢.

(٣١) نفسه، ص. ٩١.

(٣٢) الكاشاني، عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم وتعليق: شاهين عبد العال، دار المنار، القاهرة، ط. ١، ١٩٩٢، ص. ٢٩٧.

(٣٣) الوصيفي، علي، موازين الصوفية من خلال الكتاب والسنة، مرجع مذكور، ص. ٥١.

المشاكل التي تعترضها، يقول الكاتب على لسان السارد: " أُوَدع شريكي أمام بيته، وأقود السيارة بأبطأ ما أستطيع، إذ ربما يلهمني الليل بحل للمعضلة، أو يخفف عني بفصل جديد في مخطوطة الرواية"(٣٤).

يستعير الكاتب معنى الإلهام من المعجم الصوفي، على لسان سارده، جاعلا منه مصدرا لمعرفته بما تفكر فيه بعض الشخصيات، ومصدرا مهما من مصادر كتابته لوقائع هذه الرواية.

- **الرؤى والمنامات والأحلام:**

عبر الكاتب عن هذا المعنى (ما يراه النائم في نومه) بمعجم متنوع منه: الرؤية، الرؤى، المنامات، الحلم، وغير ذلك، وقد يتم توظيف هذا المعنى للدلالة على حدس خاص أو كرامة من كرامات الأولياء، فيرى الشخص رؤية وهو صاح، وذلك من كرامات الصوفية. والمنامات مصدر مقدس من مصادر المعرفة عند المتصوفة، فهم يرون أن العلوم على ثلاث مراتب، أولها علم العقل، وثانيها علم الأحوال، وثالثها علوم الأسرار، وقد "صنف علم الرؤى والأحلام ضمن الصنف الثالث عند الصوفية، فهو بالنسبة لهم من جملة علوم الأسرار التي يطلعهم الله تعالى عليها كشفاً أو إلهاما كجزء من وراثة النبوة(٣٥)". والمنامات رؤيا في النوم، وهي عندهم أكثر صدقا من رؤيا اليقظة؛ إذ يرون أن "ما يعطاه الصوفي على الأسِرة أعظم مما يعطاه في الصلاة، فالمنامات لها وقع كبير جدا عند الصوفي، وقلما يفوت على الصوفي يوم إلا ويسأل صاحبه عما رأى في منامه، وهل رأى شيخه أم لم يره"(٣٦). لذلك فهي ذات أهمية كبيرة تتجلى " في كونهم يستبشرون بمناماتهم الصادقة ويرون إلهاما إلهيا، وإلقاءً ربانيا، فهي تارةً أمراً، وتارةً زجراً، وتارةً تحذيرا وتنبيها، وتارةً إرشاداً وتوجيها وحكايات الصوفية وأخبارهم عن مثل هذه المنامات لا يبلغها الحصر(٣٧). " ونورد هذا النص الذي يكاد يجمع هذا المعجم المتعلق بهذا الحقل، إذ يقول السارد: "لمن سيؤول الكنز آخر المطاف حين يفرج عنه القرد؟ الأهم: لأي فرع

(٣٤) القرملاوي، أحمد، ورثة آل الشيخ، مرجع مذكور، ص. ١٢٢.

(٣٥) نهرو، الكنسزان الحسيني، الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي، دار القادري للنشر والتوزيع، دمشق، ط. ١، ٢٠٠٧، ص. ٢٨.

(٣٦) الوصيفي، علي، موازين الصوفية من خلال الكتاب والسنة، مرجع مذكور، ص. ٥٢.

(٣٧) نهرو، الكنسزان الحسيني، الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي، مرجع مذكور، ص. ٣٧.

من فروع العائلة الممتدة في كل اتجاه؟ كنت وحدي المهووس بأصل الحكاية، أتلمس منبتها في أفواه الكبار، أتساءل عمن أوجدها من العدم؛ قيل حلم، وقيل رؤيا تشارف الغيب، وكانت أمي من أولئك المصدقين تماما بالرؤى والنبوءات؛ تهامس بها خواص الناس، وتسير بهديها بيقين لا يتزعزع، حتى إنها احتفظت بي في رحمها إكراما لرؤيا جدتي روحية؛ حماتها، وشريكها الأخلص في عالم الأحلام(٣٨).

إن المعجم الذي استوقفنا في النص مرتبط بما يحصله الصوفي من معرفة روحية مصدرها غيبي مثل المنامات، ومما ورد في النص من هذا المعجم: "الهوس، حلم، رؤيا، الغيب، الرؤى، النبوءات"، وكلها تلتقي في كونها مصدرا أكثر وثوقا لدى السارد، يمتح منه معلوماته، ويتنبأ بمصير بعض الشخصيات. ويتكرر هذا المعجم في الرواية بوتيرة كبيرة، إذ لا نكاد نقرأ صفحة إلا ونعثر على ما يدل على حلم، رؤية، منامات، أو ما يتعلق بها من مفاهيم وعبارات، مثل عبارة: "اللهم اجعله خيرا"(٣٩) التي يكررها المصريون، بل ونجدها حرفيا، أو ما في معناها، في كل الوطن العربي، كلما تعلق الأمر بسرد الشخص لما رآه في منامه. إن شخصية "روحية" التي تمت الإحالة عليها في هذا النص، هي الأخرى، تتشاكل مع هذا الحقل المعجمي الواسع؛ فهي تحيل على الروح، على الجانب غير المادي في شخصية الإنسان.

- **الحال والسكرة والعبور:**

الأحوال "هي المواهب الفائضة على العبد من ربه إما واردة عليه ميراثا للعمل الصالح المزكي للنفس المصفي للعقل، وإما نازلة من الحق امتنانا محضا، وإنما سميت أحوالا لتحول العبد بها من الرسوم الخلقية ودركات البعد إلى الصفات الحقية ودرجات القرب، وذلك هو معنى الترقي(٤٠)". من هذه الأحوال "الغيبة والحضور والصحو والسكر والوجد والهجوم والغلبات والغناء، والبقاء، كلها من أحوال القلوب المتحققة بالذكر والتعظيم لله(٤١)".

(٣٨) القرملاوي، أحمد، ورثة آل الشيخ، مرجع مذكور، ص. ١٣.
(٣٩) نفسه، ص. ١٤.
(٤٠) الكاشاني، عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، مرجع مذكور، ص. ٥٢.
(٤١) الحفني، عبد المنعم، مصطلحات معجم الصوفية، مرجع مذكور، ص. ١١.

وقد جمعنا بين المفردات الثلاثة: الحال والسكرة والعبور لترابطها؛ إذ تعبر عن مراحل معينة يمر بها الصوفي قبل أن يبلغ مقاماً يتحد فيه بشيخه. ونجد بعض الفقرات وردت بها كل هذه المفردات متقاربة لتدل على عبور الصوفي من حال إلى حال بعد سكرة، والسكر "حيرة بين الفناء والوجود في مقام المحبة الواقعة بين أحكام الشهود والعلم إذ الشهود يحكم بالفناء، والعلم يحكم بالوجود... وفي الحوال: الحيرة بين التجلي والاستتار(٤٢)". يقول السارد: "فانتبه ابن عمي من سكرة التذكر وسأل بذهول: "فعلا تفكرون في بيع البيت؟ " وجم الجميع لبرهة، كأن شخصا مهيباً دخل علينا بغتة، أو كان حضوراً غير مرئي قد مسناً جميعاً؛ حضور الجد الراحل ربما، أو بيت البلدة بأفاعيه ووطاويطه. سرعان ما عاد أبي يبث الدفء في أوصال الجلسة، بحسه المبحوح وبطريقته في عرض القضايا.. قال لابن أخيه إن الحال قد تبدل تماما؛ ولو عبرنا بك الجسر مغمض العينين ونزعنا عنك العصابة عند مدخل البلدة، ستظن نفسك قد ضللت الطريق"(٤٣).

أحست الجماعة كان شخصا غير مرئي قد حضر بينهم فسكت الجميع. هل عبروا من حال إلى حال؟ هذا ما يريد الكاتب أن يؤكده على لسان سارده؛ حيث يؤكد الأب (ابن الشيخ طبعا، الشيخ الذي يلمح السارد إلى أنه حضر دون يروه). إن عبور الجسر بعينين مغمضتين يشير إلى عبور من نوع خاص، غنه العبور الصوفي،

- **النسب الشريف:**

جل شخصيات الرواية من الأشراف، ولم لا؟ وعائلة الشيخ يتصل نسبها كما تثبت شجرتها بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، بقول السارد عن أبيه: "كان أبي يتعامل مع حقيقة نسبه كسر لا يحسن إفشاؤه، ككرامة خاصة ستتبدد حالما يتم كشفها للناس. كانت بعض نساء البلدة يشددن يده ليلثمنها حين يصافحهن، فيجذبها بارتباك ويتمتم باستغفار مكروب، وسرعان ما يزحف العبوس فوق جبهته. فهمت بدءاً من هذه الليلة سبب التبرك بيده

(٤٢) الكاشاني، عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، مرجع مذكور، ص. ٣٥٥.
(٤٣) القرملاوي، أحمد، ورثة آل الشيخ، مرجع مذكور، ص. ١١.

"الشريفة"(٤٤). إن النسب الشريف لهذه الشخصية (الأب) يؤهلها لأن تكون شخصية صوفية.

تنتمي عائلة الشيخ لما يسميه الكاتب في الرواية بالأشراف الذين لهم نقابة خاصة بهم، يقول السارد عن لقائه بخاله: "تواعدنا على اللقاء نهاية الأسبوع، ليكون أمامه فسحة من الوقت يسترد خلالها شجرة العائلة من نقابة الأشراف. كانت أول مرة أسمع فيها اسم النقابة، وأن ثمة تصنيفاً يطلق عليه "الأشراف"(٤٥).

- **أسماء الشخصيات:**

أسماء شخصيات هذا العمل الروائي كلها أسماء ترحل بنا إلى عالم فاضل، عالم الروح والصدق والعفاف والكمال، إنه عالم مختار بعناية، عالم عرفاني. هذا إذا عرفنا أن أسماء الشخصيات الرئيسة في الرواية هي: فاضل، صدقي، كامل، روحية، عفاف، مختار، أم فاضل، وعرفان الحوذي. وهذه الأسماء كلها، ترتبط بمعجم صوفي غني عن التعريف: الصدق، الكمال، الروح، العفاف، الفضل، العرفان.

إن أسماء الشخصيات لا تدع لنا شكاً في أن الكاتب قد اختار أن يكتب رواية عرفانية ذات بعد صوفي تؤثثه الرؤى الصادقة والمنامات، عالم تعبر فيه الشخصيات من عالم الشك إلى اليقين عبر تدرجها في مجموعة من الأحوال.

ونكتفي فيما يلي بتقديم بعض الفقرات التي تشهد على تسمية بعض هذه الشخصيات، يقول الراوي: "على الرغم من تفتيشه الدقيق في جناح أم كامل، بل وقلبه رأساً على عقب، يبقى صدقي بيك أقل أبناء الشيخ انشغالاً بالكنز، فقد أنجب آخر أبنائه بعد النبوءة بسنوات، ولم يفكر في تسميته "محمد" كما فعل سائر إخوته، ربما كان مكتفياً بذاته النبيلة والوجيهة، أو ربما واثقاً في إمكانية استحواذه على الكنز، أيا كان مكتشفه"(٤٦). ونقرأ كذلك: "كانت نعمات

(٤٤) نفسه، ص. ٢٠.

(٤٥) نفسه، ص. ١٨.

(٤٦) القرملاوي، أحمد، ورثة آل الشيخ، مرجع مذكور، ص. ٦١.

أخرى من عادت من زيارة البلدة البعيدة؛ نعمات جديدة أتى بها شقيقها فاضل من محطة القطار مع عم عرفان الحوذي"(٤٧).

من النصوص التي وردت بها أسماء لشخصيات ذات إيحاء صوفين نورد قول السارد: "في جناحين متقابلين في بيت الخرنفس، ولد أبي وولدت أمي. ولهذه الواقعة حكاية طويلة تسبقها، بل حكايتان، الأولى حكاية جدي محمد بن فاضل مع العشق والترحال، والثانية حكاية جدي حسين بن صدقي، حكاية ارتباطه الوثيق بجدي محمد، الذي انتهى به في جناح الست أم صدقي في البيت نفسه. "

إن النصوص التي استشهدنا بها على تشاكل معجم هذه الرواية، وانتمائه لعالم المتصوفة، نصوص تحفل بالكثير من المفردات والعبارات التي يؤطرها البعد الصوفي. وقد اكتفينا بالتسطير والتأكيد على بعضها فقط، في حين أن هذه النصوص والفقرات تحتمل أكثر من قراءة إذا ما تمعنا في عمقها الصوفي ما يحتاج وقفة طويلة لا تتسع هذه الدراسة لها.

د. مقامات وأحوال ورثة آل الشيخ:

المقامات والأحوال هما "اصطلاحان يستخدمهما الصوفيون للتدليل على تدرج السالك للطريق الصوفي من مكانة إلى أخرى، ولما يتعرض له في تدرجه هذا في المقامات من أحوال تأتيه من نسمات الرحمة الإلهية، فبعد أن يتحقق السالك بآداب السلوك العامة، يستطيع أن يصحح مقامات سلوكه وأحواله المختلفة، ويترقى فيها دون أن يخشى الانقطاع عن الوصول إلى الله، والمقامات هي مراحل الطريق إلى الله التي يقطعها السالك في رحلته نتيجة مجاهدته لنفسه، أما الأحوال فهي ما يعرض للسالك دون كسب منه من المعاني الإلهية والحوال الربانية التي ترد على القلب من غير تعمد السالك"(٤٨).

إن ما تحدثنا عنه من رؤى ومنامات وتحصيل معرفة يقينية من دون جهد يبدله صاحبها، إنما هي أحوال تعرضت لها مجموعة من شخصيات الرواية. هذا إضافة إلى مجموعة من الأحوال التي سنعرض لها الآن، ونذكر بأن من خصائص التجربة الصوفية أن يكون منبعها ناشئاً من

(٤٧) نفسه، ص. ١٠٨.

(٤٨) محمد، عبد الله خضر، شعرية الخطاب الصوفي: ديوان عبد القادر الجيلاننني أنموذجا، منشورات عالم الكتب الحديث، ٢٠١٦، ص. ٤٩.

دعوة أو مصدر جذب يجعل الصوفي يسعى إلى إدراك المعرفة التي تؤهله للحصول على مبتغاه، وقد تجسد ذلك في رواية القرملاوي في رؤية الشيخ التي مفادها أن هناك كنزاً وجب كشفه، ولا يمكن ذلك إلا باتباع خطوات الشيخ، فهو العارف بهذا السر، ولذلك يمكن اعتبار السلوك الصوفي " في أحد جوانبه، حالة إلزام عملي، تفرض فيها على الذات تملصها من إنيتها، مما ينتج عنه علاقة ضدية تستولي على الصوفي في شكل ثنائيات تحدَّد غالبا بالتخلي والتحلي، أو الانفصال والاتصال(٤٩).

مرت بعض شخصيات الرواية بمجموعة من الأحوال، منها إحساس الجماعة بحضور غير مرئي بينهم، والحديث عن العبور من الجهل إلى المعرفة، نجد هذا في قول السارد: "وجم الجميع لبرهة، كأن شخصاً مهيباً دخل علينا بغتة، أو كان حضوراً غير مرئي قد مسناً جميعاً؛ حضور الجد الراحل ربما، أو بيت البلدة بأفاعيه ووطاويطه. سرعان ما عاد أبي يبث الدفء في أوصال الجلسة، بحسه المبحوح وبطريقته في عرض القضايا.. قال لابن أخيه عن الحال قد تبدل تماما؛ ولو عبرنا بك الجسر مغمض العينين ونزعنا عنك العصابة عند مدخل البلدة، ستظن نفسك قد ضللت الطريق"(٥٠).

إن العبور من حال الجهل الذي يفرضه الواقع المادي إلى اليقين الذي يأتي بالاتحاد بالأشراف والشيوخ قد يكون في العودة إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وإلى صحابته الأشراف الكرام، وقد جسدت الرواية ذلك في القول بأن شجرة هذه العائلة الشريفة تمتد إلى سيدنا محمد، نقرأ في الرواية حديثاً بين الراوي وأبيه: "أسماء في سلسلة تفضي في النهاية لسيدنا محمد رسول الله... أسماء لفتني من بينها: ضرغام، جِميعة، قَرشلة، إدريس الأكبر، الفاتح، علي الوفا، الحسن المثنى، الحسن السبط، علي بن أبي طالب. "من هؤلاء؟ " فقال: جدودك"(٥١). عن إيمان السارد بأن: "الروح تهاجر وراء الجسد، حتى لو تأخرت قليلا في اللحاق به "(٥٢).

(٤٩) بلعلي، آمنة، الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي: من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١، ص. ٢٥.

(٥٠) نفسه، ص. ١١.

(٥١) القرملاوي، أحمد، ورثة آل الشيخ، مرجع مذكور، ص. ١٩.

(٥٢) نفسه، ص. ١٣٦.

من الأحوال التي مرت بها شخصية "زين" ابن الشيخ، مروره من مرحلة قاسية جعلت منه زاهداً في أحد المساجد، لا يأكل ولا يشرب شيئا، يقول عنه السارد: " لا بد أن من رأوه تعرفوا فيها بن الشيخ الأزهري سليل آل البيت، الذي يخرج المحمل كل عام من الفسحة المتاخمة لبيته، لا بد أن أحدهم وضع وعاء تمر بجواره وقلة ماء، ووجده لا يتناول منها شيئا، فالأشراف لا يطعمون من مال الصدقة ولو ماتوا جوعاً"(٥٣).

هذا المريد الذي بلغ مقاماً صوفياً رفيعاً، إذ أضحى له مريدون كما يشهد قول السارد: "صارت عادته التي لم يتركها قط، أن يهمهم بالآيات والتراتيل في نومه وصحوه، وفيما يجوب المسالك الصخرية لجبل المقطم، متنقلا بين مقامات الأولياء، ماضيا بقية عمره في ضيافة أهل الله وفي حماهم، يرتل وينشد ويهيم في رحابة عشق لم يجد مثيلاً لحلاوته، حتى أوصى مريديه بأن يجعلوا له قبراً بين مقامي سيدي عمر بن الفارض وسيدي ابن عطاء الله الكندري تحت سفح جبل المقطم"(٥٤).

ونقف عند هذا النص الذي يحفل بمعجم صوفي غني، ويرسم لنا ملامح عبور شخصية "فاضل" من عالم الواقع الكاذب والفاني، إلى عالم الحقيقة، يقول السارد عن هذه الشخصية: "خرج فاضل ولم يعد؛ هكذا تقول الرواية المنسوبة لابنه الوحيد، جدي محمد. لم تضع سيرته إلى الأبد، بل عرف منها شذرات متفرقة، جميعها يؤكد عدم إقامته مجددا في بيت الخرنفس. يقول البعض إنه انجذب، استلبته طاقة غيبية لبقية سنوات عمره، فيما يقول البعض الآخر إنه اكتشف ذات فجر نفسه النبيلة، التي انغمست طويلا في دنيا الليل، وحالما لمحت نهارا رمحت خلفه، رمح شادن صغير وراء أمه الغزالة(٥٥)".

هذه الأحوال والمقامات التي جسدتها بعض شخصيات الرواية، نستشفها من المعجم الذي وظفه الكاتب بالدرجة الأولى، والذي يشهد النص الذي أوردناه أعلاه على غنى الرواية بمعجم ينهل من لغة الصوفية (التراتيل، المسالك، مقامات الأولياء، أهل الله، عشق، مريد، مقام...)، بالإضافة إلى دلالة أسماء الشخصيات والأماكن التي اشتمل عليها النص. وكل هذا ليس لم يرد

(٥٣) نفسه، ص. ٢١٣.
(٥٤) نفسه، ص. ٢١٥.
(٥٥) نفسه، ص. ٢١٣.

اعتباطا، وإنما نجد فيه قصدا جليان ورغبة في التعبير بعبارات أهل التصوف، فالنص الذي أوردناه شاهد على تنقل هذه الشخصية (شخصية زين ابن الشيخ) من حال إلى حال حتى بلغت هذا المقام الصوفي الذي تنتهي به الرواية؛ إذ انتهى به المطاف شيخا مدفونا بين شيخين عظيمين، بمكان مقدس.

الخاتمة

كان هدفنا من دراسة رواية "ورثة آل الشيخ" للروائي المصري أحمد القرملاي أن نؤكد حضور البعد الصوفي فيها. وقد وظفنا مجموعة من المفاهيم والإجراءات المنهجية للكشف عن حضور هذا البعد. ونجمل أهم الخلاصات التي انتهينا إليها في هذه الدراسة فيما يلي:

- ساعدنا مفهوم "العتبة" كمفهوم إجرائي من المفاهيم التي جاء به جيرار جنيت، على القول بأن عتبات هذه الرواية، من العنوان إلى الإهداء، قصد من ورائها الكاتب تأكيد البعد الصوفي فيما كتبه.
- ساعدنا مفهوم "التشاكل" على الوقوف على هيمنة حقل معجمي معجم صوفي تؤطره مفاهيم وعبارات تنتمي إلى المعجم الصوفي، سواء تعلق الأمر ببعض العبارات الذي لا نجدها إلا لدى المتصوفة، أو بأسماء الشخصيات التي تنتمي كلها إلى هذا العالم.
- إن أهم بعد يكشف ما ذهبنا إليه هو تأكيد الكاتب على تدرج بعض الشخصيات في مدارج معروفة لدى المتصوفة، ومنها التدرج عبر مجموعة من الأحوال الصعبة من أجل الوصول إلى المعرفة الصوفية وتقلد مقامات الصالحين.
- ونختم هذه الدراسة بالقول إن الحضور القوي للبعد الصوفي في رواية القرملاوي "ورثة آل الشيخ" كان مقصودا، تؤكد ذلك مجموعة من العلامات كان أولها عتبة العنوان والإهداء، وجاءت نهاية الرواية لتؤكدها كذلك عبر إنهاء مسار بعض الشخصيات متدرجة من الجهل إلى معانقة العرفين والأولياء الصالحين كما هو حال شخصية ابن الشيخ.

المصادر والمراجع

١. أحمد، القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط. ١، ٢٠٢٠.

٢. آسية متلف، "التجريب الصوفي في الرواية العربية المعاصرة، أبعاده وتجلياته"، مجلة: التعليمية، المجلد ٤، العدد ١٠، مارس ٢٠١٧.

٣. آمنة، بلعلي، الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي: من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.

٤. بغداد، برادي وغروسي، قادة، "مرجعيات تماهي الخطاب الصوفي في الرواية العرفانية: قراءة تأويلية في "ياسين في قلب الخلافة" لعبد الإله بن عرفة"، ضمن مجلة: الخطاب، المجلد ١٧، العدد ١، يناير ٢٠٢٢.

٥. جينيت، جيرار، أطراس (الأدب في الدرجة الثانية)، ترجمة: المختار حسني، ضمن مجلة فكر ونقد، العدد ١٦، فبراير ١٩٩٩.

٦. عبد الله خضر محمد، شعرية الخطاب الصوفي: ديوان عبد القادر الجيلانني أنموذجا، منشورات عالم الكتب الحديث، ٢٠١٦.

٧. عبد المجيد، نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط. ١، ٢٠٠٢.

٨. علي، الوصيفي، موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠١.

٩. الكاشاني، عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم وتعليق: شاهين عبد العال، دار المنار، القاهرة، ط. ١، ١٩٩٢.

١٠. محمد، أدادا، "الصوفي في الروائي"، ضمن مجلة: فكر ونقد، العدد ٤٠، السنة الرابعة، يونيو ٢٠٠١.

١١. محمد، برادة، أسئلة الرواية أسئلة النقد، منشورات شركة الرابطة، الدار البيضاء، ط. ١، ١٩٩٦.

١٢. معمر، معمري، "الرؤية الصوفية وأثرها في التشكيل السردي عند الحبيب السائح، بحث لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث، إشراف الدكتور إسماعيل زردومي، كلية الآداب واللغات بجامعة الحاج لخضر، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ٢٠١٦ – ٢٠١٧.

١٣. نهرو، الكنسزان الحسيني، الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي، دار القادري للنشر والتوزيع، دمشق، ط. ١، ٢٠٠٧.

١٤. وفاء، حلايمية، الرمز الصوفي والبعد العرفاني في رواية "أمطار صيفية" لأحمد القرملاوي"، رسالة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي الحديث والمعاصر، جامعة العربي التبسي– تبسة، بالجمهورية الجزائرية، إشراف الدكتور: حاج بن سراي، السنة الجامعية: ٢٠٢١ – ٢٠٢٢.

مواقع إلكترونية:

١. جودة محمود أبو اليزيد، أخذ العهد بين الشيخ المرشد والمريد، عن الموقع الإلكتروني: نفحات الطريق، على الرابط: https://www.nafahat-tarik.com/2018/05/Al-Ahd-Bayn-Al-Shaykh-Wa-Al-Mourid.html تاريخ الزيارة: ٢٥ يوليو ٢٠٢٣م.

٢. سارة رشار، "«الوارث النبوي».. دليل المتصوفة للوصول إلى السماء"، عن الموقع الإلكتروني: المرجع، على الرابط: https://www.almarjie-paris.com/3586 تاريخ الزيارة: ١٧ يوليو ٢٠٢٣.

٣. أماني، إبراهيم، ورثة آل الشيخ رواية أجيال، الموقع الإلكتروني: "صدى البلد" على الرابط: https://www.elbalad.news/5018503 تاريخ الزيارة: ١٦ شتنبر ٢٠٢٣.

٤. موقع جائزة الشيخ زايد للكتاب، على الرابط: https://www.zayedaward.ae/ar/previous.editions/winners/ahmad.al.qarmalawi.. aspx تاريخ الزيارة: ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٣.

٥. نشوة، مطر، "ورثة آل الشيخ" حكاية عن عابري الحياة بلا ضجيج"، موقع إندبندنت عربية، على الرابط: https://www.independentarabia.com/node/163296/ تاريخ الزيارة: ٢٣ أكتوبر ٢٠٢٣.

Romanization of References

1- Ahmed Al-Qamalawi، Warathat 'Aal Al-Sheikh، Arabic House of Book Library، Cairo، 1st ed.، 2020.

2- Asiyah Mutlif، Al-Tajreeb Al-Soofi fi Al-Rewaayah Al-'Arabiyah Al-Mu'aaserah Ab'aaduh Watajalliyaatuh، The Educational Journal، Vol. 4، Issue 10، March 2017.

3- Amnah Ba'labki، Al-Harakah Al-Tawaasuliyah fi Al-Khitaab Al-Soofi: min Al-Qarn Al-Thaalith 'ila Al-Qarn Al-Saabi' Al-Hijreyain، Publications of Arab Writers Union، 2001.

4- Baghdad، Bardady; and Gharoosy، Qadah، Marji'iyaat Tamaahi Al-Khitaab Al-Soofi fi Al-Rewaayah: Qeraa'ah Ta'weeliyah fi "Yasin fi Qalb Al-Khilaafah" Li-'Abdul-Ilah bin 'Arafah، Al-Khattab Journal، Vol. 17، Issue 1، Jan. 2022.

5- Jennet، Gerar، Atraas (Al-Adab fi Al-Darajah Al-Thaaniyah)، Translation: Al-Mukhtar Husni، Fikr Wa-Naqd Journal، Issue 16، Feb. 2016.

6- 'Abdullah Khidhr Mohammed، She'riyat Al-Khitaab Al-Soofi: Diwaan 'Abdul-Qader Al-Jeelany 'Unmoothajan، Publications of Modern Books World، 2016.

7- 'Abdul-Majeed، Nousi، Al-Tahleel Al-Seemiyaa'i Lil-Khitaab Al-Rewaa'i، Al-Madaris Co. for Publishing and Distributing، 1st ed.، 2002.

8- 'Ali، Al-Wasify، Mawaazeen Al-Soofiyah fi Dhaw'i Al-Kitaab Wal-Sunnah، Al-Iman House for Printing، Publishing and Distributing، Alexandria، 2001.

9- Al-Kashany، 'Abdul-Razzaq، Mu'jam Istelaahaat Al-Soofiyah، Verifier: Shahin 'Abdul-'Aal، Al-Manar House، Cairo، 1st ed.، 1992.

10- Mohammed، Adada، Al-Soofi fi Al-Rewaa'i، Fikr Wa-Naqd Journal، Issue 40، Year 4، June 2001.

11- Mohammed، Baradah، As'ilat Al-Rewaayah As'ilat Al-Naqd، Publications of Al-Rabitah Co.، Casablanca، 1st ed.، 1996.

12- Mu'ammar، Ma'mary، Al-Ru'yah Al-Soofiyah Wa'atharuha fi Al-Tashkeel Al-Sardi 'inda Al-Habeeb Al-Saa'ih، an MA Thesis in Modern Arabic Literature، Supervisor: Dr. Ismail Zardoomy، College of Arts and Languages at Al-Haj Lakhdhar University، Algeria، 2016-2017.

13- Nihro، Al-Kinsizan Al-Husainy، Al-Ru'a Wal-Ahlaam fi Al-Manzhoor Al-Soofi، Al-Qadery House for Publishing and Distributing، Damascus، 1st ed.، 2007.

14- Wafa'a، Halaymiyah، Al-Ramz Al-Soofi Wal-Bu'd Al-'Irfaani fi Rewaayat "Amtaar Saifiyah" Li-Ahmed Al-Qaramalawi، an MA Thesis in Modern and Contemporary Arabic Literature، Al-'Arabi Al-Tibsy University، Algeria، Supervisor: Haj bin Saray، 2021-2022.

Electronic Websites:

1- *Jawdah Mahmoud Abu Al-Yazeed، Akhthu Al-'Ahdi baina Al-Sheikh Al-Murshid Wal-Mureed، from "Nafahat Al-Tareeq" Website at:*

https://www.nafahat-tarik.com/2018/05/Al-Ahd-Bayn-Al-Shaykh-Wa-Al-Mourid. html، *visited on: 25 July 2023.*

2- *Sarah Rashad، Al-Waarith Al-Nabawi – Daleel Al-Mutasawwifah Lil-Wusool 'ila Al-Sama'a، from "Al-Marji'" Website at:* https://www.almarjie-paris.com/3586، *visited on: 17 July 2023.*

3- *Amany، Ibrahim، Warathat 'Aal Al-Sheikh Rewaayat Ajyaal، from "Sada Al-Balad" Website at:* https://www.elbalad.news/5018503، *visited on: 17 Sep. 2023.*

4- *Website of Sheikh Zaid Prize of Book at:* https://www.zayedaward.ae/ar/previous.editions/winners/ahmad.al.qarmalawi.aspx، *visited on: 22 Oct. 2023.*

5- N*ashwa ،Matar ،"Warathat Aal Alsheikh" Hekaiah An Aberi Alhayat Bela Dhajij" Independent Arabia website ،at the link:* https://www.independentarabia.com/node/163296/ *Date of visit: October 23 ، 2023 .*